

## (940) من 514 قراءة من تفسير السعدي \ الجزء (2) سورة آل عمران (51 من 71 الآيات: ) 861-651 كبار العلماء

عبدالرحمن السعدي

يا ايها الذين امنوا لا تكونوا كالذين كفروا و قالوا لاخوانهم اذا ضربوا في الارض او كانوا لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم ويميت والله بما تعلمون بصير. ينهى تعالى عباده المؤمنين ان يشابهوا الكافرين. الذين لا يؤمنون بربهم -

00:00:00

ولا بقضاءه وقدره من المنافقين وغيرهم ينهاهم عن مشابهتهم في كل شيء. وفي هذا الامر الخاص وهو انهم يقولون لاخوانهم في الدين او في النسب اذا ضربوا في الارض اي سافروا للتجارة او كانوا غزا اي غزاة ثم جرى عليهم قتل او موت يعارضون القدر -

00:00:30

يقولون لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا. وهذا كذب منهم. فقد قال الله تعالى قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم ولكن هذا التكذيب لم يفدهم الا ان الله يجعل هذا القول وهذه العقيدة حسرة في قلوبهم فتزداد -

00:00:50 مصيبيتهم واما المؤمنون بالله فانهم يعلمون ان ذلك بقدر الله فيؤمنون ويسلمون فيهدي الله قلوبهم ويثبتها ويخفف ذلك عنهم المصيبة قال الله ردا عليهم والله يحيي ويميت اي هو المنفرد بذلك فلا يغنى حذر عن قدر. والله بما تعلمون -

00:01:10

فيجازيكم باعمالكم وتكتذبكم ثم اخبر تعالى ان القتل في سبيله او الموت فيه ليس فيه في نقص ولا محذور وانما هو مما ينبغي ان يتنافس فيه المتنافسون. لانه سبب مفض وموصل الى مغفرة الله ورحمته. وذلك خير مما -

00:01:30

يجمع اهل الدنيا من دنياهم. وعن ان الخلق ايضا اذا ماتوا او قتلوا باي حالة كانت. فانما مرجعهم الى الله وما لهم اليه. فيجازي كلًا بعمله. فain الفرار الا الى الله وما للخلق عاصم الا الاعتصام بحبل الله -

00:02:00

الغليظ القلب لنفرض من حولك. فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الامر. فاذا فتوكل على الله ان الله يحب المتكلين. اي برحة الله لك ولاصحابك من الله عليك الت لهم جانبك وخفضت لهم جناحك وترقدت عليهم وحسنست لهم خلقك فاجتمعوا عليك واحبوك وامتثلوا امرك ولو كنت -

00:02:30

الظن اي سيء الخلق غليظ القلب اي قاسية لانفضوا من حولك. لان هذا ينفرهم ويبغضهم لمن قام به هذا الخلق السيئ. فالاخير اخلاق حسنة من الرئيس في الدين تجذب الناس الى دين الله وترغبهم فيه. مع مال صاحبه من المدح والثواب الخاص. والاخلاق السيئة من الرئيس في الدين -

00:03:00

تنفر الناس عن الدين وتبغضهم اليه. مع مال صاحبها من الذم والعقاب الخاص. فهذا الرسول المعصوم يقول الله له ما يقول فكيف بغيرهليس من اوجب الواجبات واهم المهمات الاقتداء بخلاقه الكريمة ومعاملة الناس بما يعاملهم به صلى الله عليه وسلم -

00:03:20

من اللين وحسن الخلق والتأليف. امثالا لامر الله وجذبا لعباد الله لدين الله. ثم امره الله تعالى بان يعفو عنهم ما صدر منهم من التقصير في صلى الله عليه وسلم ويستغفر لهم في التقصير في حق الله في جمع بين العفو والاحسان. وشاورهم في الامر. اي الامور التي تحتاج الى استشارة -

00:03:40

ونظر وفك فان في الاستشارة من الفوائد والمصالح الدينية والدنيوية ما لا يمكن حصره. منها ان المشاورة من العبادات المتقرب بها

بها الى الله ومنها ان فيها تسبحا لخواطрем وازالة لما يصير في القلوب عند الحوادث فان من له الامر على الناس اذا جمع اهل الرأي

- 00:04:00

فضل وشاورهم في حادثة من الحوادث اطمأنت نفوسهم واحبوه. وعلموا انه ليس بمستبد عليهم. وانما ينظر الى المصلحة الكلية العامة للجميع فبذلا جهدهم ومقدورهم في طاعته. لعلمهم بسعيه في صالح العموم بخلاف من ليس كذلك. فانهم لا يكادون يحبونه محبة - 00:04:20

ولا يطيعونه. وان اطاعوه فطاعة غير تامة. ومنها ان في الاستشارة تنور الافكار بسبب اعمالها فيما قطعت له فصار في ذلك زيادة للعقل. ومنها ما تنتجه الاستشارة من الرأي المصيب. فان المشاور لا يكاد يخطئ في فعله. وان اخطأ - 00:04:40

او لم يتم له مطلوب فليس بملوم اذا كان الله يقول لرسوله صلى الله عليه وسلم وهو اكمل الناس عقلا واوزرهم علما رأيا وشاورهم في الامر فكيف بغيره؟ ثم قال الله تعالى فاذا عزمت اي على امر من الامور بعد الاستشارة فيه ان كان - 00:05:00

يحتاج الى استشارة فتوكل على الله. اي اعتمد على حول الله وقوته. متبراً من حولك وقوتك. ان الله يحب المتوكلين عليه اللاجئين عليه وعلى الله فليتوكل المؤمنون اي ان يمدكم الله بنصر - 00:05:20

ومعونته فلا غالب لكم. فلو اجتمع عليكم من في اقطارها وما عنده من العدد والعدد. لان الله لا مغالب له. وقد قهر العباد واحد نواصيهم فلا تتحرك دابة الا باذنه. ولا تسكن الا باذنه. وان يخذلكم ويكلكم الى انفسكم. فمن ذا الذي ينصركم من بعده - 00:05:50

فلا بد ان تخذلوا ولو اعنانكم جميع الخلق. وفي ضمن ذلك الامر بالاستنصال بالله والاعتماد عليه. والبراءة من حول والقوة. ولهذا قال وعلى الله فليتوكل المؤمنون تقديم المعمول يؤذن بالحصر اي على الله توكلوا لا على غيره لانه قد علم انه هو الناصح - 00:06:10

وحدة فالاعتماد عليه توحيد محسن للمقصود. والاعتماد على غيره شرك غير نافع لصاحبها. بل ضار. وفي هذه الاية الامر بالتوكيل على الله وحده وانه بحسب ايمان العبد يكون توكله. وما كاننبي ان يغل ومن يغفل - 00:06:30

يأتي بما غل يوم القيمة. ثم توفي كل نفس ما كسبت وهم لا يبلغون كن الغلول هو الكتمان من الغنية. والخيانة في كل مال يتولاه الانسان. وهو محروم اجمعاعا. بل هو من الكبار. كما تدل - 00:06:50

عليه هذه الاية الكريمة وغيرها من النصوص. فاخبر الله تعالى انهم ينبغي ولا يليق بنبي ان يغل. لان الغلول كما علمت من اعظم الذنوب وشر العيوب. وقد صان الله تعالى انبائه عن كل ما يدنسهم ويقبح فيهم. وجعلهم افضل العالمين اخلاقا. واطهرهم نفوسا. واذكى - 00:07:10

واطبيتهم ونزعهم عن كل عيب. وجعلهم محل رسالته ومعدن حكمته. الله اعلم حيث يجعل رسالته. فبمجرد علم العبد للواحد منهم يجزم بسلامته من كل امر يقبح فيهم ولا يحتاج الى دليل على ما قيل فيه من اعدائهم. لان معرفته ببنوتهم - 00:07:30

دفع ذلك. ولذلك اتي بصيغة يمتنع معها وجود الفعل منهم. فقال وما كاننبي ان يغل. اي يمتنع ذلك ويستحيل على من اختارهم الله لنبوته ثم ذكر الوعيد على من غل فقال ومن يغفل يأتي بما غل يوم القيمة اي يأتي به حامله على ظهره - 00:07:50

حيوانا كان او متعنا او غير ذلك ليغذب به يوم القيمة. ثم توفي كل نفس ما كسبت. الغال وغيره كل يوفى فاجره ووزره على مقدر كسبه. وهم لا يظلمون. اي لا يزاد في سيئاتهم. ولا يهضمون شيئا من حسناتهم. وتأمل حسن هذا الاحتراز - 00:08:10

في هذه الاية الكريمة لما ذكر عقوبة الغال وانه يأتي يوم القيمة بما غل ولما اراد ان يذكر توفيقه وجذراه وكان الاقتصار على قال يوم بالمفهوم ان غيره من انواع العاملين قد لا يوفون اتي بلفظ عام جامع له ولغيره - 00:08:30

فمن اتبع رضوان الله كمن باط سخط من الله ومواذه جهنم وبنس المصير هم درجات عند الله والله بصير بما يعملون يخبر تعالى انه لا يستوي من كان قصده رضوان الله. والعمل على ما يرضيه. كمن ليس كذلك. ومن هو مكب على المعاصي. مسخط - 00:08:48

قل لربك هذان لا يستويان في حكم الله. وحكمة الله وفي فطر عباد الله. افمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون لهذا قال هنا هم درجات عند الله. اي كل هؤلاء متفاوتون في درجاتهم ومنازلهم. بحسب تفاوتهم في اعمالهم. فالمتبعون - 00:09:18

رضوان الله يسعون في نيل الدرجات العالىات والمنازل والغرفات. فيعطيهم الله من فضله وجوده على قدر اعمالهم. والمتبعون لمساخط الله يسعون في النزول في الدركات الى اسفل السافلين. كل على حسب عمله. والله تعالى بصير باعمالهم لا يخفى عليه منها شيء. بل قد علمها - 00:09:38

واثبتهما في اللوح المحفوظ و وكل ملائكته الامانة الكرام ان يكتبوا ويحفظوها ويضبطونها اذ بعث فيهم رسولنا من انفسهم يتلو يتلو عليهم ايات ويزكيهم ويعملهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين - 00:09:58

هذه المنة التي امتن الله بها على عباده. اكبر النعم بل اصلها وهي الامتنان عليهم بهذا الرسول الكريم. الذي انقذهم الله به من وعصتهم به من الهلاكة فقال لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولنا من انفسهم يعرفون نسبه وحاله ولسانه - 00:10:27 من قومهم وقبيلتهم ناصحا لهم مشفقا عليهم يتلو عليهم اياته يعلمهم الفاظها ومعانيها. ويزكيهم من الشرك والمعاصي والرذائل وسائر مساوى الاخلاق. ويعملهم الكتاب اما جنس الكتاب الذي هو القرآن. فيكون قوله يتلو عليهم اياته - 00:10:47

المراد به الايات الكونية او المراد بالكتاب هنا الكتابة. فيكون قد امتن عليهم بتعليم الكتاب والكتابة. التي بها تدرك العلوم وتحفظ والحكمة هي السنة التي هي شقيقة القرآن. او وضع الاشياء مواضعها ومعرفة اسرار الشريعة. فجمع لهم بين تعليم الاحكام - 00:11:07

وما به تنفذ الاحكام وما به تدرك فوائدتها وثماراتها. ففاقوا بهذه الامور العظيمة جميع المخلوقين. وكانوا من العلماء وان كانوا من قبل بعثة هذا الرسول لفي ضلال مبين. لا يعرفون الطريق الموصل الى ربهم ولا ما يذكر النقوص ويظهرها - 00:11:27 بل ما زين لهم جهلهم فعلوه. ولو ناقض ذلك عقول العالمين قل ومن عند انفسكم ان الله على كل شيء قادر. هذا تسلية من الله تعالى لعباده المؤمنين. حيث اصابهم ما اصابهم يوم احد - 00:11:47

وقتل منهم نحو سبعين. فقال الله انكم قد اصبتם من المشركين مثلها يوم بدر. فقتلتم سبعين من كبارهم واسرتم سبعين فليهن الامر ولتخف المصيبة عليكم مع انكم لا تستون انتم وهم فان قتلاكم في الجنة وقتلهم في النار. قلت انى هذا - 00:12:17 اي من اين اصابنا وهزمنا؟ قل هو من عند انفسكم حين تنازعتم وعصيتم من بعد ما اراكما ما تحبون. فعودوا على انفسكم باللوم واحذروا من الاسباب المرضية. ان الله على كل شيء قادر. فايماكم وسوء الظن بالله. فانه قادر على نصركم. ولكن له اتم الحكمة في - 00:12:37

ابتلائكم ومصيتكم. ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم. ولكن ليبلو بعضكم ببعض. وما اصابكم يوم التقى الجمuan ولعلم المؤمنين ولعلم الذين نافقوا. وقيل لهم تعالوا قاتلون في سبيل الله او ادفعوا قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم هم للكفر يومئذ اقرب منهم - 00:12:57

الايمان يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم والله اعلم بما يكتمون ثم اخبر ان ما اصابهم يوم التقى الجمuan جمع المسلمين وجمع المشركين في احد من القتل والهزيمة انه باذنه وقضائه وقدره - 00:13:27 لا مرد له ولا بد من وقوعه. والامر القديري اذا نفذ لم يبق الا التسليم له. وانه قدره لحكم عظيمة وفوائد جسيمة. وانه تبين بذلك المؤمن من المنافق الذين لما امووا بالقتال وقيل لهم تعالوا في سبيل الله اي ذبا عن دين الله وحمایة له وطلبا - 00:13:47 الله او ادفعوا عن محارمكم وبلكم ان لم يكن لكم نية صالحة فابوا ذلك واعتذرلوا بان قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم اي لو نعلم انكم يصيرون بينكم وبينهم قتال لاتبعناكم. وهم كذبة في هذا قد علموا وتيقنوا وعلم كل احد ان هؤلاء المشركين - 00:14:07 قد ملئوا من الحق والغيط على المؤمنين بما اصابوا منهم. وانهم قد بذلوا اموالهم وجمعوا ما يقدرون عليه من الرجال والعدد. واقبلوا في جيش عظيم قاصدين المؤمنين في بلدتهم متحرقين على قتالهم. فمن كانت هذه حالهم كيف يتصور انهم لا يصيرون بينهم وبين المؤمنين قتال - 00:14:27

خصوصا وقد خرج المسلمون من المدينة وبرزوا لهم هذا من المستحيل. ولكن المنافقين ظنوا ان هذا العذر يروج على المؤمنين. قال الله تعالى هلا هم للكفر يومئذ اي في تلك الحال التي تركوا فيها الخروج مع المؤمنين اقرب منهم للايمان. يقولون بافواههم ما ليس

في قلوبهم - 00:14:47

وهذه خاصة المنافقين. يظهرون بكلامهم وفعالهم ما يبطنون ضده في قلوبهم وسرائرهم. ومنه قولهم لو نعلم قتالا لاتبعنا معكم فانهم قد علموا وقوع القتال ويستدلوا بهذه الآية على قاعدة ارتكاب اخف المفسدين لدفع اعلاهم وفعل ادنى المصلحة - 00:15:07  
للعجز عن اعلاهم. لأن المنافقين امرؤا ان يقاتلو للدين. فان لم يفعلوا فللمدافعة عن العيال والوطن. والله اعلم بما فيبديه لعباده المؤمنين ويعاقبهم عليه. ثم قال تعالى الذين قالوا لاخوانهم مقعدوا لو - 00:15:27

الف ادرأوا عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين الذين قالوا لاخوانهم وقعدوا لو اطاعونا ما قتلوا. اي جمعوا بين التخلف عن الجهاد وبين الاعتراض والتکذیب بقضاء الله وقدره. قال الله - 00:15:47

عليهم قل فادرأوا اي ادفعوا عن انفسكم الموت. ان كنتم صادقين انهم لو اطاعوكما قتلوا لا تقدرون على ذلك ولا تستطعون هنا وفي هذه الآيات دليل على ان العبد قد يكون فيه خصلة كفر وخصلة ايمان. وقد يكون الى احدهما اقرب منه الى الاخرى - 00:16:07